مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:02، جوان 2026، صص: 121- 138
تاريخ الاستلام(2025/11/19) تاريخ القبول (2026/05/17) تاريخ النشر (2026/06/30)

هويّة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية: دراسة في التفاعل بين اللّغة والثقافة والانتماء

The Identity of Algerian Literature Written in French: A Study of the Interaction Between Language, Culture, and Belonging

عالية زروقي [1]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)، a.zerrouki@univ-chlef.dz

ملخص:

تركّز هذه الدراسة على إشكالية الهوية الجزائرية في الأدب المكتوب بالفرنسية، بالتركيز على العلاقة بين اللغة، الثقافة والانتماء القومي. توضح الدراسة أن الهوية الجزائرية ليست مجرد انتماء عرقي أو لغوي، بل هي شعور وانتماء نابع من التاريخ والثقافة والمجتمع، وتتشكل من عناصر متعددة مثل اللغة، الدين، الأرض، والانتماءات الفرعية. وتكشف الدراسة عن دور اللغة الفرنسية في الأدب الجزائري، سواء في فترة الاستعمار أو ما بعد الاستقلال، كأداة للتعبير عن الواقع الجزائري ونقل التجربة الثقافية إلى العالم، دون أن تمس الهوية القومية. كما تبحث في تجربة الأدباء مزدوجي اللغة، مثل رشيد بوجدرة وأمين الزاوي، الذين وظفوا العربية والفرنسية معًا لإثراء الإبداع ونقل القيم الجزائرية .وتخلص الدراسة إلى أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية جزائري الهوية طالما أن مؤلفيه يعترفون بانتمائهم للثقافة والتاريخ الجزائري، وأن استخدام الفرنسية وسيلة للتواصل العالمي لا يقلّل من هويتهم، بل يتيح تلاقح الأفكاروالحفاظ على الانتماء القومي والثقافي.

كلمات مفتاحية: الهوية الجزائرية؛ الأدب الجزائري؛ اللغة الفرنسية؛ الانتماء القومي؛ الاستعمارالفرنسي؛ الفرنكوفونية

المؤلف المرسل: عالية زروقي، الإيميل: m-k.kermouche@ens-setif.dz

Summary:

This study focuses on the issue of Algerian identity in literature written in French, with particular emphasis on the relationship between language, culture, and national belonging. It argues that Algerian identity is not merely an ethnic or linguistic affiliation, but rather a sense of belonging rooted in history, culture, and society, and shaped by multiple elements such as language, religion, land, and sub-identities. The study highlights the role of the French language in Algerian literature, both during the colonial period and after independence, as a means of expressing Algerian reality and conveying cultural experience to the wider world without undermining national identity. It also examines the experience of bilingual writers such as Rachid Boudjedra and Amin Zaoui, who have used both Arabic and French to enrich literary creativity and express Algerian values. The study concludes that Algerian literature written in French remains fundamentally Algerian in identity as long as its authors acknowledge their belonging to Algerian culture and history. The use of French as a medium of global communication does not diminish this identity; rather, it enables the exchange of ideas and the preservation of national and cultural affiliation.

Keywords: Algerian identity; Algerian literature; French language; national belonging; French colonialism; Francophonie

1. مقدمة:

تُعدّ الهوية الثقافية والفكرية لأي أمة عنصرًا محوريًا في تشكيل وعيها الجمعي وفهم تاريخها وحاضرها، فهي ليست مجرد تعريف نظري، بل انعكاس للانتماء والتميز والوعي الذاتي. وفي حالة الجزائر، تتداخل مقومات الهوية بين العربية، والإسلام، والأمازيغية، والخصوصية الوطنية، لتنسج وحدة متماسكة رغم التنوع الداخلي، مما يجعلها موضوعًا غنيًا بالدراسة والتحليل.

تطرح هذه الدراسة إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، محاولةً استكشاف مدى ارتباطه بالهوية الوطنية والثقافية للبلاد. فمن جهة، يعتبره بعض النقاد والأدباء أداة للتعبير عن الواقع الوطني ونقل الصورة الجزائرية إلى العالم؛ ومن جهة أخرى، يرى آخرون فيه ابتعادًا عن اللغة الأم وتحديًا للهوية القومية. هنا تبرز أسئلة محورية: هل يمكن للكتابة بالفرنسية أن تكون جزءًا من الأدب الجزائري الأصيل؟ وهل تمثل تهديدًا أم إثراءً للهوية الثقافية؟

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من محاولة فهم التفاعل العميق بين اللغة والثقافة والانتماء القومي، وكيف لعب الأدب دورًا مزدوجًا، إذ عكس مأساة التمزق بين ثقافتين في ظل الاستعمار الفرنسي، وفي الوقت ذاته شكّل نافذة للانفتاح على العالم ونقل القيم والأفكار الجزائرية إلى القارئ العالمي.

وتهدف الدراسة إلى:

1. تحليل العلاقة بين الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية والهوية الثقافية الوطنية.
2. دراسة مواقف النقاد والأدباء تجاه هذا الأدب في فترتي ما قبل الاستقلال وما بعده.
3. توضيح الدور الذي تلعبه اللغة في تشكيل الانتماء القومي والتعبير عن الذات الثقافية.
4. تقييم مدى قدرة الأدب المكتوب بلغة أجنبية على احتواء الهوية الجزائرية والتعبير عنها.

يقوم منهج الدراسة على **التحليل النقدي الأدبي والمنهج التاريخي**، مع الرجوع إلى آراء النقاد والباحثين لمقاربة النصوص الأدبية ضمن سياقها التاريخي والثقافي. كما تستند الدراسة إلى المفاهيم الفلسفية للهوية والانتماء، حيث تُعرّف الهوية بأنها مجموع السمات التي تميّز الفرد والجماعة، فيما يشكل الانتماء الرابط الواعي بين الفرد وجماعته، بما يتيح فهمًا أعمق للتفاعل بين اللغة والأدب والهوية.

2. المكوّنات التّاريخية والثّقافية للهويّة الجزائرية:

1.2 . في محدّدات الهويّة:

تأخذ لفظة الهوية عدّة مفاهيم في المعاجم لاسيما الفلسفية منها، إذ يقدّمها الفارابي في قوله: <<هويّة الشيء، وعينيته وتشخّصه، وخصوصيته ووجوده المنفرد له كلٌ واحدٌ، وقولنا إنّه إشارة إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك>>[1]، وهذا يدلّ على أنّ هوية الشيء هي ما يميّزه عن غيره ويكشف طبيعته. فهويتي هي مجموع السمات التي أعرّف بها نفسي والتي أشارك فيها من ينتمي إلى الفضاء نفسه، تمامًا كما أنّ هوية الآخر تتحدّد من خلال السمات التي يعرّف بها ذاته ومن يشاركه الخصائص ذاتها. وبذلك تُعدّ الهوية الأداة التي تمكّن الذات من إدراك نفسها وإدراك غيرها. فالهوية الإنسانية، في مستواها الأول والأبسط، هي ما يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى: كونه إنسانًا عاقلًا. غير أنّ الهوية ليست معطًى ثابتًا أو نهائيًا، بل هي سيرورة متجدّدة تتشكّل باستمرار وفق معطيات ومرتكزات معيّنة، رغم ما قد يبدو عليها من ثبات ظاهري أحيانًا.

وبما أنّ الهوية تتعلق بالأفراد والجماعات في تمييزهم عن غيرهم، فإنها لا تُتصوَّر خارج المجتمع والتاريخ؛ فالأمة، بصفتها جماعة منسجمة ومتشابهة في وجودها المشترك، هي وحدها التي تمتلك هوية. ولا يستطيع الفرد أن ينفصل عن الجماعة في هذا السياق، لأنه يحتاج إلى هوية تشدّه إلى آخرين، ولا يمكنه امتلاك هوية منفردة. كما لا يمكن لأي جهة أن تفرض هوية على جماعة من الناس من دون اختيار حرّ منهم.

وعليه، لا يمكن للفرد أن يعيش خارج هوية، لأن الهوية لا تُفرض عليه، بل هي اختيار وانتماء يعبّر به الإنسان عن ارتباطه بجماعة معيّنة. فالانتماء إلى جماعة يقتضي بالضرورة وجود جماعات أخرى تُعرَّف بوصفها «غيرنا»، إذ يعرّف الفرد نفسه بطريقة تضعه داخل حدود جماعة محدّدة، ومن ثَمّ يحدّد أيضًا الجماعات التي لا ينتمي إليها. ومن هنا تنشأ الهوية على المستوى الفردي من شعور الإنسان بالانتماء إلى جماعة يتقاسم معها القيم والمشاعر والاتجاهات.

أمّا **الانتماء** فهو <<العلاقة المنطقية بين الفرد والصنف الذي هو أحد أفراده>>[2]، فإذا كانت الهوية تمثّل ما يميّز الفرد عن غيره، فإنّ الانتماء هو الصلة التي يختار الفرد نسجها مع جماعة معيّنة، ليُدرج نفسه ضمنها بإرادة واعية. ويتحدّد الانتماء الاجتماعي للفرد وفق معيارين أساسيين متكاملين هما[3]: **العامل الثقافي الذاتي** المتمثل في ولاء الفرد لجماعة معيّنة أو لعقيدة محدّدة، و**العامل الموضوعي** الذي تعكسه معطيات الواقع الاجتماعي المحيط بالفرد، أي انخراطه الفعلي في جماعة أو إطار اجتماعي معيّن. ويُعدّ الولاء، بوصفه البعد الذاتي في الانتماء، تعبيرًا عن أقصى درجات المشاركة الوجدانية والشعورية بين الفرد والجماعة التي ينتسب إليها.

ويشير انتماء الفرد إلى جماعة داخل مجتمع أو أمة واحدة إلى أنّ هذه الأمة، رغم توحّد هويتها العامة، تضمّ في داخلها جماعات متعددة. فقد تتعايش داخل الهوية الجامعة هويات فرعية أو جزئية[4]، وتُعرف أيضا بالهويات الصغرى أو الهويات ما تحت القومية[5]، وتتمثل في التوجهات السياسية والإيديولوجية، والطوائف الدينية، والانتماءات الجغرافية (حضري/ريفي)، أو القبلية، وغيرها من العناصر التي تُبرز تمايزًا داخليًا بين أفراد المجتمع الواحد.

وإلى جانب الانتماء الذي يختاره الفرد لجماعته، هناك محدّدات أخرى تسهم في تشكيل هويته، فهي لا تُختزل في البيانات الرسمية التي تتضمنها "بطاقة الهوية" كما يشير أمين معلوف، بل تمتدّ لتشمل الدين والمذهب والطائفة، والجنسية، واللغة، والعائلة، والجماعات الإثنية والقبلية، ثم المحيط الاجتماعي والمجالي الذي يعيش فيه الفرد؛ سواء كان حيًّا أو قرية أو مدينة أو بادية. وقد تضاف إلى ذلك أحيانًا انتماءات أخرى كالفريق الرياضي أو الجماعة المهنية أو السياسية.

ويعدّ الوعي بهذه العناصر المشكّلة للهوية ضروريا لتحديد الفواصل والفوارق بين الأنا والآخر من جهة، وللرّقي بها وتنميتها والمحافظة عليها من جهة أخرى، فاللغة الأم، والدين الرسمي، والأرض المشتركة أو الرقعة الجغرافية، من أبرز العناصر التي تسهم في تحديد هوية جماعة ما. وتُدخل هذه العناصرُ أفرادَ المجتمعات في دوائر هوياتية متداخلة قد تتقارب في فترات الاستقرار والهدوء، وقد تنفصل أو تتصادم في لحظات التوتر والصراع.

وترتكز الهوية على مبدأ الوحدة التي لا تتجزأ، لأن الهوية تعبّر عن **ذاتٍ واحدة**، والذات لا تتعدد، وإن أمكن أن تتصف بصفات أو تنتمي إلى مستويات مختلفة. وفي هذا السياق يمكن رصد أربع هويات رئيسية – بدرجات متفاوتة من الحضور – لأغراض تحليلية، وهي:[6] **هوية قومية عربية، هوية دينية إسلامية، هوية وطنية قطرية، هوية شخصية مهنية**

فالهويّة القومية العربية تستمد محدّداتها من الانتماء إلى العروبة، بينما ترتكز الهوية الدينية الإسلامية على معيار الدين الذي يفصل هذه الجماعة عن غيرها. وبما أنّ الأمة العربية تتكوّن من عدد من الأقطار التي تمتلك أوطانًا أو رقعًا جغرافية خاصة بها، فإن هذا يمنحها تميّزًا إضافيًا عن غيرها من الأمم. أمّا الهوية الشخصية المهنية، فهي ما يميز الفرد داخل مجتمعه، بل وداخل أسرته الواحدة، باعتبارها نتاجًا لمساره المهني والمعرفي وخصائصه الفردية.

2.2. مقوّمات الهويّة الجزائرية:

تُعدّ الجزائر دولة ذات سيادة تتميّز بمجموعة من المقوّمات التي تشكّل هويتها وتميّز أفرادها عن غيرهم. فهي تقوم على رقعة جغرافية محدّدة، ويُعدّ الإسلام دينها الأصلي، والعربية لغتها الأم، كما يتقاسم أبناؤها تاريخًا مشتركًا ضاربًا في القدم، وتراثًا ماديًا ولا ماديًا يعتزّون به ويسعون إلى صونه وتنميته. وتمتلك الجماعة الوطنية الجزائرية ثقافة متّفقًا على أسسها، وتموضعًا موحّدًا تجاه المستقبل وتحدّياته، ما يمنح الجزائر خصوصيتها داخل الفضاءين العربي والإفريقي.

والجزائر، بهذا المعنى، جزء من الأمة العربية الإسلامية، وهويتها الوطنية امتداد للهوية العربية الإسلامية، مع احتفاظها بعناصرها المحلية الخاصة. وقد حدّد الدستور الجزائري معالم هذه الهوية من خلال عدد من مواده، حيث جاء فيه أنّ <<إن الجزائر أرض الإسلام وجزء لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير، وأرض عربية وبلاد متوسطية وإفريقية، تعتزّ بإشعاع ثورتها>>[7]، والمكوّنات <<الأساسية لهويتها: الإسلام والعروبة والأمازيغية>>[8]، تعدّ اللغة العربية <<هي اللغة الوطنية الرسمية>>[9]، وورد في درس الهوية الوطنية: <<سكان الجزائر أصلهم أمازيغ لكن الإسلام عرّبهم>>[10].

ويُعدّ تاريخ المجتمع الجزائري ضاربًا في القدم، إذ كان يعرف قبل سنة 1832 درجة من الانسجام بين مكوّناته، نتيجة التفاعل المتواصل بين الوافد الإسلامي بمضامينه المتعددة العقائدية والطقوسية واللغوية، وبين المكوّن الأمازيغي المحلّي بما يتضمنه من لغة منطوقة وممارسات طقوسية متجسّدة في العادات والتقاليد الاجتماعية[11]. وقد ساهم هذان البُعدان، عبر تداخلهما وتفاعلهما، في تشكيل مفهوم الذات المحلية المنسجمة.

أحدث الاحتلال الفرنسي شرخًا عميقًا في الهوية الجزائرية، إذ سعى إلى طمس مقوماتها عبر فرض اللغة الفرنسية كلغة رسمية. وإن اقتصر ذلك على فئة محدودة من أبناء البلاد الأصليين. ومحاولة تشويه العقيدة الإسلامية بنشر الشبهات والبدع التي زادت من جهل الناس بدينهم. كما بذل رجال الدين الفرنسيون جهودًا مكثّفة للتنصير، ما جعل المستعمِر يعتبر الجزائر أرضًا فرنسية خاضعة لإدارته المباشرة، في إطار سياسات هدفت إلى محو ركائز الهوية الوطنية من جهة، وإثارة التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة من جهة أخرى، عبر إذكاء الخلاف بين العرب والأمازيغ وإحياء الصراعات الداخلية، الأمر الذي أفرز أزمات مست بنية الهوية الفردية والجماعية على حدّ سواء.

وفي مواجهة هذا المسعى الاستعماري، برز الشيخ عبد الحميد بن باديس محدّدًا معالم الهوية الجزائرية بقوله الشهير: الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا، وهي المقومات التي تبنّتها الدولة الجزائرية المستقلة لاحقًا ضمن دستورها الذي يحدّد الأسس الكبرى للدولة.

ويُعدّ ***التاريخ*** أحد أهم المقومات التي تُبنى عليها الدول، إذ يرتبط تاريخ الجزائر بتاريخ الأمة الأمازيغية العريق في شمال إفريقيا، ذلك التاريخ الذي صنعه الأجداد من ماسينيسا إلى يوغرطة، ورسّخته دولة النوميديين، وخلّده القديس أوغسطين في مؤلفاته الفلسفية الكبرى. وقد أدى هذا الجذر الأمازيغي في بنية المجتمع الجزائري إلى إثارة نقاشات حول الهوية الحقيقية للجزائريين: هل هي أمازيغية أم عربية؟ بل ذهب بعض الباحثين إلى ردّ الهوية الأمازيغية إلى أصول عربية، وهو رأي يرفضه كثيرون بحجة أنّ الجزائريين أسلمهم الإسلام ولم "يعرّبهم"، لأن الانتماء العرقي لا يمكن أن يُختزل في انتماء لغوي.

وبين هذين الرأيين، يمكن القول إنّ الهوية في جوهرها **شعورو انتماء** قبل أن تكون امتدادًا عرقيًا أو تعصّبًا سلاليًا. وفي هذا السياق تكاد خيارات الشعب الجزائري تُجمع على الانتماء العربي، مع الإقرار بأنّ اللغة مسألة أخرى، فهي الوسيلة المعتمدة للتفاهم والتثاقف والتدوين الأدبي والتاريخي، ولذلك تعدّ العربية اللغة الرسمية للبلاد. ولا ينفي هذا وجود لهجات محلية أو تعدد لغوي مهما كان مستواه، كما لا يُنقص من حضور اللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية أولى تُستعمل في سياق العولمة والتواصل الثقافي والفكري، دون أن يمس ذلك مكانة العربية كلغة رسمية، أو هوية الفرد والمجتمع. وفي هذا الصدد يقول جاك دريدا : **لغة قوم ليست هي لسانهم بالضرورة، ولسان قوم ليس هو لهجتهم بداهة.**

وبناء على هذه المعطيات، فإن الهوية الجزائرية، على امتدادها التاريخي والثقافي، تُعدّ جزءًا من الهوية العربية المشرقية، مع احتفاظها بخصوصيتها المتميّزة ذات الجذور الأمازيغية، وهي

خصوصية تتقاطع فيها البنية التاريخية مع الموروث الثقافي والاجتماعي، بما يمنح الجزائر تفرّدها داخل الفضاء المغاربي والعربي على السواء.

3. الجذور التاريخية للكتابة الأدبية بالفرنسية في الجزائر:

يكتب الأديب في إبداعه الأدبي معتمدا على قاموس لغوي، بأصواتٍ ومفرداتٍ وتراكيب يبلّغ بها مقاصده، وينقل من خلالها خيالاته ومشاعره وأحاسيسه. وتلعب اللغة دور الوسيط الأساسي الذي يضفي بعدًا أدبيًا على بنية العلاقات والسلطة داخل المجتمع، ومن خلالها تتشكل مفاهيم مثل "الحقيقة" و"النظام" و"الواقع". فهي ليست مجرد وسيلة محايدة لنقل المعاني، بل هي نتاج سياق اجتماعي محدد، محمّلة مسبقًا بالإيحاءات الثقافية والسياسية والتاريخية والحضارية التي تُرافق كلماتها وتراكيبها. وبالتالي، تصبح اللغة وعاءً فاعلًا للفكر، حاملة لمضامين إيديولوجية تؤثر بالضرورة على العمل الأدبي، فتمنحه خصائصها الخاصة وتلوّن معانيه بسماته الذاتية.

فاللغة، خلال عملياتها التعبيرية، لا تقدم الفكرة بصفة حيادية مطلقة، بل تمنحها طابعًا خاصًا متأثرًا بتجارب الأمة الفكرية والثقافية، وبخلفياتها الحضارية والفكرية وأساليب التفكير والفهم التي اكتسبتها عبر الزمن. ومن هنا جاء اهتمام الباحثين والمؤرخين باللغة باعتبارها معيارًا لتحديد هوية الأمة وثقافتها.

وفي هذا السّياق، تُعدّ اللغة العربية اللغة الرّسمية والأداة المحددة لهوية الأمة الجزائرية، ومكوّنًا أساسيًا من مقوّماتها الثقافية، غير أنّ ظهور الكتابة الأدبية بالفرنسية أثار جدلًا كبيرًا بين النقاد والكتّاب حول هوية هذا الأدب ومكانته ضمن الإطار الثّقافي الجزائري، ما جعل النّقاش حول العلاقة بين اللغة والأدب والهوية محورًا مركزيًا في الدّراسات الأدبية والاجتماعية.

ولجوء العديد من الكتّاب الجزائريين إلى الإبداع باللغة الفرنسية لم يكن خيارًا حرًّا بقدر ما كان نتيجة منطقية للواقع الاستعماري الذي عاشته الجزائر، وما رافقه من سياسات ممنهجة هدفت إلى تهميش اللغة العربية وإقصائها من الفضاء الثقافي والتعليمي، يقول مصطفى الأشرف: <<شاءت الأقدار أن تتغلّب لغة الغزاة على هذه اللغة القومية منذ 1830 م وليس هذا بمستغرب، إذ لا ينكر أحد بأن السيطرة الأجنبية المباشرة كانت شاملة فعملت حيثما استتب لها الوضع على قلب الأنظمة لصالحها، أو على تحطمها لكي تحلّ محلّها أنظمتها هي>>[12]، وبذلك أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة التي يدرسها الجزائريون في المدارس، وهي لغة الإدارة والسلطة، ولغة الفئات التي تُوصف بالمتحضّرة، إضافة إلى حضورها القوي في مجالات التجارة والمعاملات اليومية. ونتيجة لهذا الانتشار الواسع، وجد الجزائري نفسه محاطًا بثقافة فرنسية تفرض حضورها في تفاصيل حياته

التعليمية والاجتماعية. وقد مكّن هذا الواقع كثيرًا من الجزائريين من توظيف اللغة الفرنسية وجعلها <<لغة تساعدهم على التعبير عن قيمهم وأفكارهم وتقاليدهم، وبدلا من أن تكون أداة لتشويه تلك القيم والتقاليد، أصبحت لهم لغة قادرة على التعبير عن تلك الشخصية الجزائرية، وعن تلك القيم الجزائرية والتقاليد الجزائرية نفسها>>[13]، وهكذا وُلد الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حين نجح الجزائريون في امتلاك هذه اللغة وتطويعها للتعبير عن مشاعرهم ومواقفهم. فأصبحت أداة ينقلون بها تطلّعات شعبهم وموقفه الرافض للاحتلال، ويصوّرون من خلالها ما كان يعيشه من ظلم واستبداد، مقاومةً من جهة، وتوثيقاً لمعاناته من جهة أخرى.

ويُعدّ كلّ من محمد ديب، ومولود فرعون، ومولود معمري، ومالك حدّاد، وآسيا جبار، وكاتب ياسين، وغيرهم، من أوائل الأدباء الجزائريين الذين خاضوا تجربة الكتابة بالفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الفترة الممتدة من 1920 إلى 1930 شهدت صدور خمسة أعمال أدبية [14]، من بينها مجموعة سالم القبّي الشعرية، والسيرة الذاتية للقايد بن الشريف. كما تُضاف إليها ***زهراء، امرأة المنجمي*** (Zohra, la femme de mineur)لعبد القادر حاج حموّ الصادرة سنة 1925، ثم روايته ***مأمون، بدايات مثل أعلى*** (Mamoun, l'ébauche d'un idéal)سنة 1928، ورواية ***العلج أسير بربروسيا*** (El-Euldj, captif des barbaresques)الصادرة عام 1929 للكاتب نفسه. وعلى الرغم من أهمية هذه الأعمال من حيث السبق التاريخي، فإن كثيراً منها أُنجز في سياق الاحتفال بمرور تسعين سنة على الاحتلال، فجاءت كتابات متسرّعة تعتريها نقائص واضحة على المستويين الفني والفكري.

ومع نهاية <<سنوات الأربعينات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، ولأول مرّة يظهر تعبير الأدب العربي المكتوب بالفرنسية في الجزائر، وفي تلك السنوات كان الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث وكان يتمّ تعليمها في أضيق الحدود في فرنسا، وهكذا وجد الجيل الأول من الأدباء الجزائريين أنفسهم أمام اختيار واحد هو الكتابة باللغة الفرنسية التي يتقنونها>>[15]. وقد استمرّ هؤلاء الأدباء في الكتابة باللغة الفرنسية، يسجّلون بها ما يكابدونه من آلام، وما يتطلّعون إليه من آمال، وينقلون أفكارهم ومواقفهم إلى العالم، معرّفين بقضية شعبهم، ومستمدّين الدعم من كلّ الشعوب المؤمنة بالحرية والعدالة.

4. مو اقف النقاد والأدباء تجاه هذا الأدب وتأثيره على الهوية الثقافية:

أفرزت مرحلة ما بعد الاستقلال إشكالية حادّة تتعلّق بالكتابة بلغة المستعمِر، إذ تحوّلت الفرنسية إلى مصدر حرج نفسي وثقافي لدى العديد من المبدعين، خصوصاً بعد اعتماد الجزائر

سياسة التعريب. وبهذا وجد الكتّاب بالفرنسية أنفسهم في دائرة اهتمام النقد العربي، وفي قلب نقاشات واسعة حول موقعهم، وهويتهم الأدبية، وشرعية لغة إبداعهم. وأضحت إشكالية اللغة، ومسألة تعريب الجزائر، ومستقبل الثقافة الوطنية موضوع نقاش واسع ومثمر في الصحف والمجلات، سواء الفرنسية منها أو المحلية [16]، وقد شارك في هذه الحوارات معظم الكتّاب الجزائريين، مقدّمين رؤى متباينة ووجهات نظر متعدّدة، ما فتح الباب أمام بروز مواقف مختلفة بشأن مستقبل اللغة والهوية الثقافية في الجزائر.

ومن أبرز النقّاد الذين شكّكوا آنذاك في جزائريّة هذا الأدب، عبد الملك مرتاض، الذي يرى أنّ معظم هؤلاء الكتّاب الجزائريين الناطقين بالفرنسية كانوا شديدي الإعجاب بالحضارة الفرنسية على وجه الخصوص، وبالحضارة الغربية عموماً، في حين يفتقرون – في تقديره – إلى معرفة حقيقية بالتاريخ العربي، ولا يملكون إلماماً كافياً بمعالم الحضارة الإسلامية [17] ، وهو بذلك يتّهمُهم بالاستلاب والانبهار بالحضارة الغربية، ويتّهم أدبهم بالغربة عن الوطن وعدم المساهمة الفعالة في ثورة التحرير، في قوله: <<إنّ رأيي في هذا الأدب سيئ جداً، وقد أكون مخطئاً فيما أرى، وقد أكون قاسيا فيما أحكم (...)إن هذا الأدب غريب في نفسه ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دوراً خطيرا في إذكاء نار الثورة[18]>>. ولعلّ قسوة موقف هذا الناقد تعود إلى تمسّكه الشديد بالعروبة، إذ يرى أنّ اللغة الفرنسية كانت بالنسبة له وسيلة استعمارية استُخدمت لمحاولة طمس اللغة العربية واغتيال حضورها في الجزائر.

وفي المقابل، نجد موقفًا آخر لدى الدكتور عبد الله الركيبي، الذي تناول عمق الإشكالية بطريقة تحليلية، مستعرضًا أبعادها الثقافية والاجتماعية والأدبية، واعتبر أنّ <<اللغة إلى جانب أنها مادّة ووسيلة للتعبير، فهي تعكس روح الشعب، وروح الحضارة التي ينتمي إليها الفرد والأمة (...) وهي بهذا تمثّل جزءا من التفكير لا وسيلة للتعبير عنه فحسب>>[19]، ومن هذا المنطلق، يُدرك الركيبي الأهمية التي يحتلّها الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ويشير إلى أنّ اللغة التي كُتب بها الأدب لها دور أساسي في إثارة الإشكالية المتعلقة بهويته، ما شكّل أزمة حادّة لدى الأدباء أنفسهم، اعتبرها بعضهم مأساوية، خصوصًا بعد الاستقلال. ففي تلك المرحلة، استعادت اللغة العربية مكانتها كمكوّن أساسي للشخصية الجزائرية. وبناءً على ذلك، يرى الركيبي أنّ هذا الأدب كان لا بد أن يُوضع تحت الاتّهام، إذ أنّ الإحساس القومي الذي تراكم لدى الشعب على مدار سنوات طويلة بلغ ذروته خلال الثورة، مصحوبًا بردّ عنيف على ما فرضه الاستعمار من تقاليد وأفكار وثقافة وأدب. وهكذا بدا الأدب الفرنسي الذي أنتجه الجزائريون غريبًا وأجنبيًا بالنسبة للأدب الوطني الجزائري القومي.

وعلى النقيض من ذلك، يتبنّى محمد الطمار موقفًا داعمًا ومتفهمًا تجاه الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إذ حاول تقديم مبرّرات لجوء بعض الكتاب إلى الفرنسية في فترة تعذّر استخدام غيرها، معتبرًا أنّ هذا الخيار كان فرضيًا في ظل الظروف التاريخية التي عاشها هؤلاء الأدباء، حيث يعتبر أنهم: <<عاشوا حقيقة الشعب وأرادوا التعبير عن ذلك الواقع، فلم يجدوا أداة لذلك التعبير إلاّ اللغة التي تعلّموها لتلك الظروف الاستثنائية، فإن أدبهم يعدّ سلاحا من أسلحة المعركة المختلفة لبعث التقاليد، والقيم المحافظة على كيان الأمة ووحدتها بجانب الأدب العربي و بذلك فهو أدب وطني، لقد انفتح ذلك الأدب على جميع الصلات الزاخرة القومية مع الأدب الفرنسي، فالديباجة فرنسية والمضمون جزائري >>[20]، وبذلك، يتجاوز محمد الطمار حدود مجرد النظر إلى الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية كلغة استعمارية، متفقًا في ذلك مع رؤية الدكتور جابر عصفور، الذي يرى أن قيمة هذا الأدب تتجاوز اللغة لتصل إلى التعبير عن الهوية والمجتمع، إذ يقول: <<وعندما أعاود النظر في موضوع علاقة اللغة بالهوية الثقافية وأصلها بخرائط الإبداع، أجد نفسي أنفي عن اللغة كونها العامل الحاسم في تحديد الهوية الثقافية، وأعطي صفة العامل الحاسم للهموم والتحديات والأحلام والكوابيس التي تنطوي عليها الهوية الثقافية الواحدة>>،[21] ويشترك في هذا الموقف عدد من النقاد والدارسين[22] الذين يرون أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يُعدّ أدبًا قوميًّا جزائريًا، نظرًا للروح الوطنية التي انبنى عليها وللحقائق المحلية التي جسّدها وعكسها في كتاباته.

ومن النقاد من يذهب إلى اعتبار هذا الأدب أدبًا مزدوج الهوية، كما هو الشأن عند عزّ الدين المناصرة الذي يرى أنّ: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية هو أدب عربي–فرنسي؛ أي أنه ليس فرنسياً تماماً، ولا عربياً خالصاً، لأنه مزدوج الهوية، يؤسس لهوية ثالثة جديدة مختلطة. فهو أدب الهجرة اللغوية، وأدب عابر للأفكار، وهو حالة خاصة[23]. وبذلك يعدّه المناصرة حالة بينية تقع ما بين الأدبين وما بين الحالتين اللغويتين، مكوّنةً أدباً وسيطاً بهوية مركّبة.

ويُبدي مصطفى الأشرف استغرابه من الاستعجال الذي طبع سياسة التعريب في الجزائر بعد الاستقلال، ومن وضع كلّ من يدعو إلى التريّث في موضع الاتهام. ويعبّر عن ذلك بقوله: لقد قيل بحق وصدق إنّ الاستعمار ظلّ طيلة قرن وربع يعمل على القضاء على ثقافتنا، غير أنّ المدهش بعد هذا أن نسمع، عقب الاستقلال مباشرة، من يزعم أنه يمكن، بين عشية وضحاها، ومن دون أي جهد عقلاني في الإعداد والتكوين، خلق جيل كامل من الأعوان والمعلمين والأساتذة المتخصصين في مختلف علوم اللسان وفروع الثقافة، مع العلم بأنّ اللسان العربي والثقافة الوطنية قد حُرما طويلاً من حرية التعبير ومواكبة التقدم العلمي في أبسط صوره[24]، ومن ثَمّ، فإنّ الأشرف يدعو إلى التدرّج

والتروّي في إنجاح مشروع التعريب، وإعادة اللغة العربية إلى مكانتها الطبيعية عبر مسار زمني متدرّج ومدروس.

غير أنّ الواقع أثبت أنّه، رغم تعاقب السّنين وتنامي الوعي الفردي والجماعي بمكانة اللغة العربية ودورها في ترسيخ الهوية القومية والثقافية، فإنّ الكتابة باللّغة الفرنسية ظلّت مستمرّة. فقد واصل بعض الأدباء الروّاد إنتاجهم بها ك**محمد ديب** و**آسيا جبار** اللذين واصلا الإبداع بهذه اللغة إلى غاية وفاتهما، بينما اختار **مالك حداد** الصمت التامّ، بعد أن أعلن قطيعته مع الفرنسية. أمّا **كاتب ياسين** فقد لزم الصمت نحو ثلاث عشرة سنة، قبل أن يتحوّل إلى الكتابة باللهجة العامية الجزائرية. في حين عرف **مولود معمري** ما يشبه **أزمة في التعبير**، فانخفض إنتاجه الإبداعي بشكل واضح، وتباعدت الفترات الزمنية بين صدور أعماله. كما التحق بهم كتّاب جدد نشأوا وتكوّنوا في الجزائر العربية المستقلّة تعليمًا وثقافة. وقد أدّى هذا الاستمرار إلى اتّساع الهوّة بين المؤيّدين لهذا الأدب والرافضين له، إذ يرى فريق منهم أنّ مبرّرات الكتابة بالفرنسية قد انتفت، ولم يعد هناك ما يبرّر مواصلة الإبداع بها، بل ينبغي العدول عنها لصالح اللغة العربية، بوصفها اللغة الرسمية والقومية للجزائر.

وبذلك يتجلّى تحوّل واضح في طبيعة الإشكال المتعلّق بهويّة الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية؛ إذ يكاد النقّاد يجمعون على أنّ أدب ما قبل الاستقلال يُعدّ أدبًا جزائريًا خالصًا، لأنه وُلد في ظرف تاريخي خاص، كان أكبر وأعمق من مجرّد مسألة الاختيار اللغوي أو الرغبة في الكتابة بالعربية. أمّا ما بعد الاستقلال، فإنّ الاستمرار في الكتابة بالفرنسية يُنظر إليه –في رأي بعض النقّاد– على أنه خيار شخصي نابع من ولعٍ وانقيادٍ نحو الآخر، مهما حاول هؤلاء الكتّاب التشبّث بالمضامين العربية الإسلامية في أعمالهم. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هذا الارتباط باللغة والثقافة الفرنسية قد دفع أولئك الأدباء إلى إغناء الأدب الفرنسي بما يحملونه من تراث وهوية، ويستدلّون على ذلك بـ احتفاء النقد الفرنسي وتاريخ الأدب الفرنسي في القرن العشرين بهم، واعتبار نتاجهم جزءًا من عيون الأدب الفرنسي.

فالكتّاب الذين لجؤوا إلى اللغة الفرنسية إبّان الاستعمار، أو غداة الاستقلال بسبب جهلهم باللغة العربية، كانت دوافعهم –على الرغم من مرارتها– مبرّرة ومقبولة لدى أغلب النقّاد؛ إذ عبّروا من خلالها عن المأساة العميقة التي عاشها جيلهم، كما هو الحال مع *مالك حدّاد* على وجه الخصوص. غير أنّ موقف النقّاد قد اختلف جذريًا إزاء الجيل الجديد من الكتّاب الذين واصلوا الكتابة بالفرنسية في ظلّ دولة مستقلّة استعادت لغتها الوطنية. ومن أبرز هؤلاء النقاد **عبد الله**

الركيبي الذي يعود ليؤكّد قائلاً: قد تكون الأحكام السابقة خاضعة لظروف الكفاح الوطني التحرّري الذي كان بحاجة إلى جميع الأسلحة، ومنها القلم الوطني والكلمة المناضلة الشريفة بأيّة لغة كُتبت. أمّا الآن، فإنّ ما يُكتب بهذه اللغة الأجنبية يُعدّ شذوذًا عن القاعدة، وخروجًا عن الواقع الطبيعي المألوف، بل تحدّيًا سافرًا للتاريخ والثوابت[25]. وبذلك يرى الركيبي أنّ الكتابة بالفرنسية –في السياق الجديد– تمسّ بالهويّة الثقافية الوطنية، كونها تعدّياً على مقوّمات الهوية الجزائرية التي تشكّل اللغة العربية إحدى ركائزها الأساسية.

ويذهب بعض الدارسين إلى اعتبار هذا الوضع **ازدواجية لغوية وثقافية** منحازة للّغة الفرنسية ولحمولتها الحضارية، بما يجعلها –في نظرهم– عاملاً يُهيّئ نفسيًا وثقافيًا لاستمرار **الاستعمار اللغوي والثقافي الفرنسي** حتى بعد الاستقلال. فهذه الازدواجية تُجسّد، في جوهرها، قابلية الفرد الجزائري لاعتماد اللغة الفرنسية أداةً للتعبير عن حاجاته وتمثّلًا لواقعه.

غير أنّه في مقابل هذه المواقف الرافضة، يبرز عدد من الروائيين الجزائريين المعاصرين الذين يكتبون بالفرنسية، والذين يدافعون بوضوح عن خيارهم اللغوي، دون أن تشكّل لهم الفرنسية أيّ عقدة أو تمنحهم ذلك الإحساس بالمأساة الذي لازم كثيرًا من الكتّاب السابقين. بل على العكس، إذ يؤكّد هؤلاء الكتّاب اعتزازهم العميق بانتمائهم إلى الثقافة والحضارة العربيتين، ويحرصون على نسب هويتهم الثقافية والفكرية إلى الفضاء العربي الواسع، مهما كانت لغة الكتابة.

ومن بين هؤلاء الروائي **ياسمينة خضرا**، الذي يرى أنّ كتابته بالفرنسية تمنحه إمكانية أوسع للانتشار والعبور نحو القرّاء في مختلف أنحاء العالم، دون أن ينتقص ذلك من هويته. بل يؤكّد أنّه يكتب بروح "البدوي ابن الصحراء"، وبروح "الجزائري والعربي"، وهو ما يميّز أعماله عن الكتابة الفرنسية الخالصة، وهو ما يُفسّر إقبال القرّاء الفرنسيين والغربيين على رواياته.

أمّا الروائي **أنور بن مالك**، فيعبّر عن أسفٍ عميق لعدم قدرته على الكتابة باللغة العربية، رغم تعلّمه لها وإدراكه لخصوصيتها. فهو يصرّح بأنّه يشعر بـ"الخيبة والحسرة" لأنه لا يستطيع التعبير بالعربية كما يريد، على الرغم من دراسته للعربية والفرنسية بالقدر نفسه. ويحمّل المسؤولية، في هذا السياق، لطرائق التعليم التي –بحسبه– أُسيء من خلالها تلقين العربية للتلاميذ، ففُرضت عليهم دون أن تُغرس فيهم محبتها، معتبراً ذلك "جريمة في حقّ اللغة العربية". ولذلك يدعو أنور بن مالك إلى إعادة الاعتبار للعربية في الجزائر، وإلى تمكينها من مكانتها الطبيعية كلغة وطنية، لا عن طريق الفرض، بل عبر جعلها لغة محبّبة وقريبة من المتعلّم. أمّا عن اللغة الفرنسية، فيقرّ بأنّها "لغة استعمار"، غير أنّها . في الوقت ذاته . "لغة بعض الحريات الفكرية"[26]. ومن هنا تتّضح الخلفية الثقافية للكاتب: فالعربية تمثّل بالنسبة إليه عمقه الحضاري والرمزي، بينما تمنحه

الفرنسية مجالاً أوسع للتفكير والتعبير، وهو ما يفسّر لجوء عدد من الأدباء الجزائريين إلى الإبداع بها.

ولا تقتصر الكتابة باللغة الفرنسية على الأدباء أحاديّي اللسان الذين لا يُحسنون الإبداع بغيرها، بل تمتدّ أيضاً إلى فئة من المبدعين الذين يكتبون بلغتين، فيحلّقون بجناحين لطالما شكّلا طرفي معادلة متباينة، يجتمعان رغم تناقضهما في ذاتٍ إبداعية واحدة. ومن أبرز هؤلاء **رشيد بوجدرة**، أحد أهمّ الأصوات المزدوجة اللغة، الذي برز في أواخر الستينيات واشتدّ لمعانه في سبعينيات القرن الماضي. وهو كاتب ينتقي اللغة التي يكتب بها وفق ما تفرضه الظروف أو ما يقتضيه الجمهور الذي يتوجّه إليه، دون أن يتخلّى عن اعتزازه العميق باللغة العربية.

فبوجدرة يصف علاقته بالعربية بأنها علاقة عشق "بالمعنى الصوفي"، ويؤكّد أنّ هذه اللغة تمكّنه من خرق النص وتوليد دلالاته عبر توظيف العامية والصور الشعرية، لما تمتاز به من طاقة جمالية خاصة[27]. غير أنّ هذا الارتباط الروحي بالعربية لا يمنعه من الكتابة بالفرنسية أيضاً، إذ يلجأ إليها لاعتبارات متعدّدة، منها ما يتعلّق بظروف النشر، أو بالخلافات الإيديولوجية، أو بالرغبة في الوصول إلى دائرة أوسع من القرّاء والاعتراف العالمي [28]، وعليه، فإنّ الكتابة بالفرنسية لا تُعدّ بالنسبة إلى بوجدرة عائقاً ولا عقدة، بل هي لغة ثانية يعبّر بها عن رؤاه متى اقتضت الحاجة، وتتيح له تحقيق مقاصده الفنية والفكرية، تماماً كما تفعل العربية، ليظلّ أديباً مزدوج الانتماء اللغوي، متحرّراً من ثنائية الرفض والقبول.

ويعدّ **أمين الزاوي** من أكثر الروائيين إنتاجًا، سواء بالعربية أو بالفرنسية. فهو يرى أنّ الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية يُشكّل، بحسبه، "نافذة على العالم من خلال كتابات الأدباء والروائيين الذين يسوّقون صور بلدانهم وثقافاتها إلى الآخر، لا سيما وأنهم يواكبون بشكل كبير حركة المجتمع المغاربي". وبذلك يحمل الزاوي الروائيين بالفرنسية –ومن بينهم نفسه– مسؤولية نقل صورة مجتمعاتهم إلى الخارج، إذ غالبًا ما لا يستطيع القارئ الغربي الاطّلاع على هذا الأدب إذا كتب باللغة الأصلية (العربية). ويرى أنّ هذه الكتابة تُقدّم للعالم الغربي "شهادة على وجودنا، وشهادة على رؤيتنا للعالم."

كما يعتبر الزاوي أنّ الكتابة بالفرنسية تمثّل "جرأة نحو الحداثة"، نتيجة للمرجعيات والقراءات التي يعتمد عليها الكاتب، فهي تتيح له توظيف ثقافة الآخر ولغته كطريق مختصر لفهم الحداثة وممارستها في نصوصه الأدبية. ومع ذلك، يمكن قراءة هذا الموقف بتحفّظ على أنّه يعكس عجز الكاتب عن نقل أبجديات الحداثة الغربية إلى العربية وتطبيقها في النصوص الإبداعية، مما

اضطره إلى اللجوء إلى لغة الآخر سعياً وراء الشهرة والانفتاح على العالمية. في المقابل، ما يزال الأدب الجزائري المكتوب بالعربية يواجه اتهامات بالتعثّر بين الرؤية الماضوية والحداثة، إذ لا يزال يتأرجح بين تياري التقليد والتجديد.

ومع ذلك، يواصل **أمين الزاوي** كتابة رواياته باللغة العربية أيضًا، فهو "المتكوّن داخل ألفية بن مالك وأشعار المعلقات وعاشق الشنفرى، وتأبطّ شراً"، أي متجذّر في التراث العربي والإسلامي. ويتميز بقدرته على الكتابة باللغتين العربية والفرنسية معًا، لما تضفيانه على بعضهما من إمكانيات جديدة في الخيال والإبداع. كما يدعو الزاوي إلى "التفتّح على اللغات الأجنبية، وعلى رأسها الفرنسية، شريطة أن تُحترم مكانتها كلغة أجنبية ضمن القناعات السيكولوجية والسياسية والثقافية." وبذلك، تُعدّ كتابته بالفرنسية، في نظره، جزءًا من الانفتاح على العالم وتبادل الأفكار بين الشعوب والأمم، دون أن تمسّ هويته القومية أو تُغيّب أصالته الثقافية بأي شكل من الأشكال.

تعدّدت المواقف بين مؤيد ومعارض، بين مشكّك في هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ومثبت لها، وبين أديب وناقد، وأخذت هذه الإشكالية أبعادًا أعمق امتدت من مرحلة الحرمان والاضطهاد في تعلم اللغة العربية، إلى مرحلة التغريب والتشبع بمبادئ وأدبيات اللغة الفرنسية. وما يمكن تأكيده أنّه، على الرغم من كلّ الجدل الدائر حول هذا الأدب، لا ينكر أحد، ولو ضمنيًا، جزائريته أو جزائرية أصحابه. فقد كُتب الجزء الأول منه في فترة تعذّر استخدام أي لغة أخرى غير الفرنسية للإبداع والتعبير، وانبثقت منه الروح الجزائرية الحاملة لآلام وآمال الشعب، وعكست مأساة أصحابه الذين عاشوا تمزّقًا بين ثقافتين وحضارتين، وإن لم تتضح هذه الأزمة إلا بعد الاستقلال مع وضوح المعالم الكبرى التي تسير عليها البلاد.

ومع استقلال الجزائر واختيار اللغة العربية كلغة رسمية للشعب، باتت معالم الهوية محددة، وبالتالي لم يعد هناك مجال للصراع أو النزاع بين العربية والفرنسية. فالعربية تمثّل روح الانتماء القومي، بينما تظل اللغات الأجنبية، ومن بينها الفرنسية، أدوات للتفتّح على العالم، ونقل الأفكار والرؤى، وإجراء التبادلات الثقافية المختلفة، والسعي نحو الشهرة والاعتراف العالمي بين الأصوات الأدبية المختلفة. وكل ذلك لا يمسّ بالهوية الجزائرية، ولا يقلّل من قناعات أصحاب هذه الكتابة.

5. خاتمة:

يمكن القول إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يمثل حالة فريدة في تاريخ الثقافة الجزائرية، فهو نتاج ظرف تاريخي استثنائي فرضته سياسات الاستعمار الفرنسي، ومن جهة أخرى انعكاس لمأساة التمزق بين ثقافتين ولغتين. لقد أثبتت الدراسة أنّ هذا الأدب، رغم استخدام لغة

المستعمر، لم يفقد جزائريته، فهو يعكس هموم الشعب الجزائري، ويعبّر عن انتمائه الجغرافي، والتاريخي، والحضاري، ويشكل جزءًا من روح الأمة وثقافتها.

وقد برزت إشكالية الهوية في مواجهة هذا الأدب بوضوح بين مؤيد يرى فيه أداة لنقل القيم والأفكار الجزائرية إلى العالم، ومعارض يعتبره ابتعادًا عن اللغة الأم والانتماء القومي. لكن التحليل أظهر أنّ الهوية ليست محصورة في اللغة وحدها، بل تتشكل من الانتماء والوعي الثقافي والتاريخي، وما دام الأديب الجزائري يعبر عن القيم الوطنية وروح شعبه، فإن هويته تبقى ثابتة ومستقلة عن لغة الكتابة.

إن العلاقة بين اللغة والثقافة والانتماء القومي، كما تبيّن من خلال هذه الدراسة، معقدة ومتعددة الأبعاد؛ فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل أداة للتعبير عن الهوية والانتماء، والأدب الجزائري بالفرنسية يشكل مثالًا على كيفية تفاعل الثقافة مع اللغة الأجنبية دون أن تفقد جذورها المحلية. كما أظهرت الدراسة أنّ الأدب المكتوب بالفرنسية بعد الاستقلال، على الرغم من وجود جدل حوله، يستمر في إثراء المشهد الثقافي والأدبي، ويقدم رؤية جديدة للهوية الجزائرية كهوية متعددة المستويات، تجمع بين القومية، والدين، والوطنية، والخصوصية الشخصية.

وفي ضوء ما سبق، يمكن التأكيد على أنّ الأدب الجزائري بالفرنسية ليس تهديدًا للهوية الوطنية، بل هو أحد أشكال التعبير عنها في سياق تاريخي معين، ويتيح فهمًا أعمق للمعاناة، والطموح، والانفتاح على العالم، كما يعكس قدرة الأدب على تجاوز حدود اللغة لتعزيز الانتماء الثقافي والوعي الجماعي. إن التقدير الصحيح لهذا الأدب يتطلب نظرة شمولية تراعي التاريخ والظروف الثقافية والاجتماعية، مع احترام حرية الأديب في اختيار وسيلة التعبير التي يراها مناسبة لمهمته الإبداعية.

6. الإحالات والهوامش:

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982، ج2، ص 530.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 152.

[3] علي أسعد وطفة، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص 155.

[4] سالم لبيض، الهوية :الاسلام، العروبة، التونسة، في رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص 352.

[5] فريدة النقاش، العرب وأسئلة الهوية، ص 10.

[6] سالم ساري، الذات العربية المتضخمة :إدراك الذات المركز والآخر الجواني، في الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر :العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص 379.

[7] ديباجة الدستور الجزائري، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية رقم 76 المؤرخة في 08 :ديسمبر 1996، معدل بـ:القانون رقم02 -03 المؤرخ في 10 أبريل2002، الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14أبريل 2002، القانون رقم 08- 19المؤرخ في 15 :نوفمبر 2008 ، الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر 2008.

[8] ديباجة الدستور الجزائري.

[9] المادة 03 من الدستور الجزائري.

[10] مادة التربية المدنية، قسم السنة الثالثة متوسط، منتديات خنشلة التعليميةwww.forum.educ.40.net .

[11] ينظر: عروس الزبير، الذات الممزقة :بين الأنا والآخر، في الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر :العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص 660.

[12] مصطفى الأشراف، الجزائر :الأمة والمجتمع، تر :حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 م، ص 417.

[13] سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1967 م، ص 86.

[14] ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي :نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 4/ 2007، ص 95.

[15] محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1996 ، ص ص 104، 105.

[16] ينظر: سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، ص 90.

[17] عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص 20.

[18] المرجع نفسه، ص 20، 21.

[19] عبد الله خليفة الركبي، القصة الجزائرية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1977م، ص 241.

[20] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 3/ 2007، ص ص 275، 276.

[21] جابر عصفور، الهوية الثقافية واللغة، جريدة الأهرام، عدد 2009/04/03.

[22] من بين هؤلاء النقاد :**أحمد منور**، الذي يثبت جزائريّة الأدب المكتوب بالفرنسية، لكنه ينفي عنه صفة الأدب القومي، قائلا (وعليه فإن حقيقة كون هذا الأدب مكتوب باللغة الفرنسية، وهي لغة أجنبية في الجزائر من الناحية الرسمية، تمنعه من أن يكون أدبًا قوميًّا) أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، ص 182، كما ترى **عايدة أديب بامية** في تطور الأدب القصصي الجزائري (1967–1925)أنّ الأدب الجزائري الفرنسي يعكس خصوصية وطنية، وكذلك **سعاد محمد خضر** في الأدب الجزائري المعاصر (ص. 83) تؤكد على الطابع المحلي والهوية الوطنية التي يجسدها هذا الأدب رغم اللغة الأجنبية التي كتب بها.

[23] ينظر: عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية :قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 11، 1425 هـ/ 2004م، ص 389.

[24] ينظر: مصطفى الأشرف، الجزائر :الأمة والمجتمع، ص 418.

[25] ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي :نشأته وتطوره وقضاياه، ص 180.

[26] Anwar Benmalek , Entretien avec Yousef Merahi ,vivre pour écrire , Editions Sedia, Algerie, 2006, p39.

[27] ينظر: رشيد بوجدرة، الكاتب الحقيقي لا يكتب إلا رواية واحدة في حياته، حاورته فضيلة بودريش، رشيد بوجدرة : هكذا تكلم ...هكذا كتب، تقديم وإعداد :زهرة ديك، سلسلة أدباء جزائريون، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2013 م، ص 25.

[28] ينظر المرجع نفسه، ص 24.

7. قائمة مصادر البحث ومراجعه:

- الكتب:

1. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي :نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 4/ 2007.
2. جابر عصفور، الهوية الثقافية واللغة، جريدة الأهرام، عدد 2009/04/03.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982، ج2
4. رشيد بوجدرة :هكذا تكلم ...هكذا كتب، تقديم وإعداد :زهرة ديك، سلسلة أدباء جزائريون، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2013 م.
5. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، 1967 م.
6. عبد الله خليفة الركبي، القصة الجزائرية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1977م.
7. عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.

8. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية :قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 11، 1425 هـ/ 2004م.

9. علي أسعد وطفة، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، في رياض زكي قاسم، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 2013

10. فريدة النقاش، العرب وأسئلة الهوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2014.

11. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 3/ 2007.

12. محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1996 .

13. مصطفى الأشراف، الجزائر :الأمة والمجتمع، تر :حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 م.

14. ديباجة الدستور الجزائري، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية رقم 76 المؤرخة في 08 :ديسمبر 1996، معدل بـ:القانون رقم02 -03 المؤرخ في 10 أبريل2002، الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14 أبريل 2002، القانون رقم 08- 19 المؤرخ في 15 :نوفمبر 2008 ، الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر 2008.

- الكتب بالفرنسية:

15. Anwar Benmalek , Entretien avec Yousef Merahi ,vivre pour écrire , Editions Sedia, Algerie, 2006